قال اللّه عزّوجلّ: ﴿أَوَلا يَعْلَمُونَ﴾؟ يعني أولا يعلم هؤلاء القائلون لإخوانهم: «أتحدّثونهم بما فتح اللّه عليكم» ﴿أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ ما يُسِرّونَ﴾ من عداوة محمّد[1] ﷺ ويضمرونه من أنّ إظهارهم الايمان به أمكن لهم من اصطلامه وإبارة[2] أصحابه.

﴿وَ ما يُعْلِنُونَ﴾ من الإيمان ظاهراً ليؤنسوهم، ويقفوا به على أسرارهم، فيذيعوها بحضرة من يضرّهم، وانّ اللّه لمّا علم ذلك دبّر لمحمّد تمام أمره، وبلوغ غاية ما أراده اللّه ببعثه وأنّه يتمّ أمره، وأنّ نفاقهم وكيدهم لا يضرّه.[3]

قوله عزّوجلّ: ﴿وَ مِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ إِلاّ أَمانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وَيْلٌ لَهُمْ مِمّا يَكْسِبُونَ﴾ [٧٨ـ٧٩]

١٤٣ـ قال الإمام عليه السلام: [ثمّ] قال اللّه عزّوجلّ:

يا محمّد، ومن هؤلاء اليهود ﴿أُمِّيُّونَ﴾ لا يقرأون [الكتاب] ولا يكتبون كالأُمّي منسوب إلى أُمّ، أي هو كما خرج من بطن أُمّه لا يقرأ ولا يكتب ﴿لا يَعْلَمُونَ الْكِتابَ﴾ المنزّل من السماء ولا المكذّب به، ولا يميّزون بينهما ﴿إِلاّ أَمانِيَّ﴾ أي إلاّ أن يقرأ عليهم ويقال لهم: [إنّ] هذا كتاب اللّه وكلامه لا يعرفون إن قرئ من الكتاب خلاف مافيه، ﴿وَ إِنْ هُمْ إِلاّ يَظُنُّونَ﴾ أي ما يقول لهم رؤساؤهم من تكذيب محمّد ﷺ في نبوّته، وإمامة عليّ عليه السلام سيّد عترته، وهم يقلّدونهم مع أنّه محرّم عليهم تقليدهم.

قال: فقال رجل للصادق عليه السلام: فإذا كان هؤلاء العوامّ من اليهود لا يعرفون الكتاب إلاّ بما يسمعونه من علمائهم لا سبيل لهم إلى غيره، فكيف ذمّهم بتقليدهم والقبول من علمائهم؟ وهل عوامّ اليهود إلاّ كعوامّنا يقلّدون علماءهم؟

---

(١) «عداوته».

(٢) «إبادة» خ. وكلاهما بمعنى «الإهلاك».

(٣) عنه البحار: ٩/ ٣١٦ ح ١٢ باختصار، وج ١٧/ ٣٣٩ ضمن ح ١٦، وج ٧٠/ ١٦٦ ضمن ح ١٨، باختصار، وإثبات الهداة: ٢/ ١٥ ح ٢٠٩ (قطعة). والبرهان: ١/ ٢٥١ ح ١، وعنه البحار: ١٩/ ٢٦٥ ح ٦ وعن الإحتجاج: ١/ ٤٠ (قطعة).

almawaddah.be

فإن لم يجز لأولئك القبول من علمائهم، لم يجز لهؤلاء القبول من علمائهم.

فقال عليه السلام: بين عوامّنا وعلمائنا، وبين عوامّ اليهود وعلمائهم فرق من جهة، وتسوية من جهة، أمّا من حيث أنّهم استووا، فإنّ الله قد ذمّ عوامّنا بتقليدهم علماءهم كما [قد] ذمّ عوامّهم، وأمّا من حيث إنّهم افترقوا فلا.

قال: بيّن لي ذلك يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله!

قال عليه السلام: إنّ عوامّ اليهود كانوا قد عرفوا علماءهم بالكذب الصراح وبأكل الحرام وبالرشاء، وبتغيير الأحكام عن واجبها بالشفاعات والعنايات والمصانعات،

وعرفوهم بالتعصّب الشديد الّذي يفارقون به أديانهم، وأنّهم إذا تعصّبوا أزالوا حقوق من تعصّبوا عليه، وأعطوا ما لا يستحقّه ممّن تعصّبوا له من أموال غيرهم، وظلموهم من أجلهم، وعرفوهم بأنّهم يقارفون المحرّمات، واضطرّوا بمعارف قلوبهم إلى أنّ من فعل ما يفعلونه فهو فاسق، لا يجوز أن يصدق على الله، ولا على الوسائط بين الخلق وبين الله، فلذلك ذمّهم [الله] لمّا قلّدوا من قد عرفوا، ومن قد علموا أنّه لا يجوز قبول خبره، ولا تصديقه في حكايته، ولا العمل بما يؤدّيه إليهم عمّن لم يشاهدوه، ووجب عليهم النظر بأنفسهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وآله إذ كانت دلائله أوضح من أن تخفى، وأشهر من أن لا تظهر لهم.

وكذلك عوامّ أمّتنا إذا عرفوا من فقهائهم الفسق الظاهر، والعصبيّة الشديدة والتكالب على حطام الدنيا وحرامها، وإهلاك من يتعصّبون عليه وإن كان لإصلاح أمره مستحقّاً، وبالترفّق[1] بالبرّ والإحسان على من تعصّبوا له، وإن كان للاذلال والاهانة مستحقّاً، فمن قلّد من عوامّنا [من] مثل هؤلاء الفقهاء، فهم مثل اليهود الّذين ذمّهم الله تعالى بالتقليد لفسقة فقهائهم.

فأمّا من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوامّ أن يقلّدوه، وذلك لا يكون إلاّ [في] بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم، فإنّ من ركب من القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامّة فلا تقبلوا منهم عنّا

(١) الترفق في الحرب: «بالترفرف»: الاحتجاج، البحار، والبرهان. وهي كناية عن اللطف.

almawaddah.be

شيئاً، ولا كرامة لهم، وإنّما كثر التخليط فيما يتحمّل عنّا أهل البيت لذلك، لأنّ الفسقة يتحمّلون عنّا، فهم يحرّفونه بأسره لجهلهم، ويضعون الأشياء على غير [مواضعها و] وجوهها لقلّة معرفتهم، وآخرين يتعمّدون الكذب علينا ليجرّوا[1] من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنّم.

ومنهم قوم نصّاب لا يقدرون على القدح فينا، يتعلّمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجّهون به عند شيعتنا، وينتقصون [بنا] عند نصّابنا. ثمّ يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا الّتي نحن براء منها، فيتقبّله [المسلمون] المستسلمون من شيعتنا على أنّه من علومنا فضلّوا وأضلّوا [هم].

وهم أضرّ على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن عليّ عليه السلام وأصحابه، فإنّهم يسلبونهم الأرواح والأموال، وللمسلوبين عند الله أفضل الأحوال لما لحقهم من أعدائهم، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المشبّهون بأنّهم لنا موالون، ولأعدائنا معادون يُدخلون الشكّ والشبهة على ضعفاء شيعتنا. فيضلّونهم ويمنعونهم عن قصد الحقّ المصيب. [لا جرم] أنّ مَن علم الله من قلبه ـ من هؤلاء العوامّ ـ أنّه لا يريد إلّا صيانة دينه وتعظيم وليّه، لم يتركه في يد هذا الملبّس الكافر، ولكنّه يقيّض له مؤمناً يقف به على الصواب، ثمّ يوفّقه الله تعالى للقبول منه، فيجمع له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضلّه لعن الدنيا وعذاب الآخرة، ثمّ قال:

[قال] رسول الله صلى الله عليه وآله: شرار علماء أُمّتنا المضلّون عنّا القاطعون للطرق إلينا، المسمّون أضدادنا بأسمائنا، الملقّبون أضدادنا[2] بألقابنا. يصلّون عليهم وهم للّعن مستحقّون، ويلعنوننا ونحن بكرامات الله مغمورون، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقرّبين علينا ـ عن صلواتهم علينا ـ مستغنون.[3]

(١) البحار والبرهان: ط.   (٢) أندادنا. ج.

(٣) عنه البحار: ٢/٨٨ ح ١٢ (قطعة) وج ٧٠/١٦٨ ضمن ح ١٨ (قطعة)، والبرهان: ١/٢٥٦ ضمن ح ١، ومستدرك الوسائل: ١١/٢٠٦ ح ٨ (قطعة)، وعنه الوسائل: ١٨/٩٤ ح ٢٠ والبحار: ٢/٨٦ ضمن ح ١٢، وعن الاحتجاج: ٢/٢٦٢ (وفيه تقدّم تفسير الآية التالية «فويل للّذين يكتبون...» قبل حديث الإمام الصادق عليه السلام، فلاحظ).